دار القاسم

داء النفاق

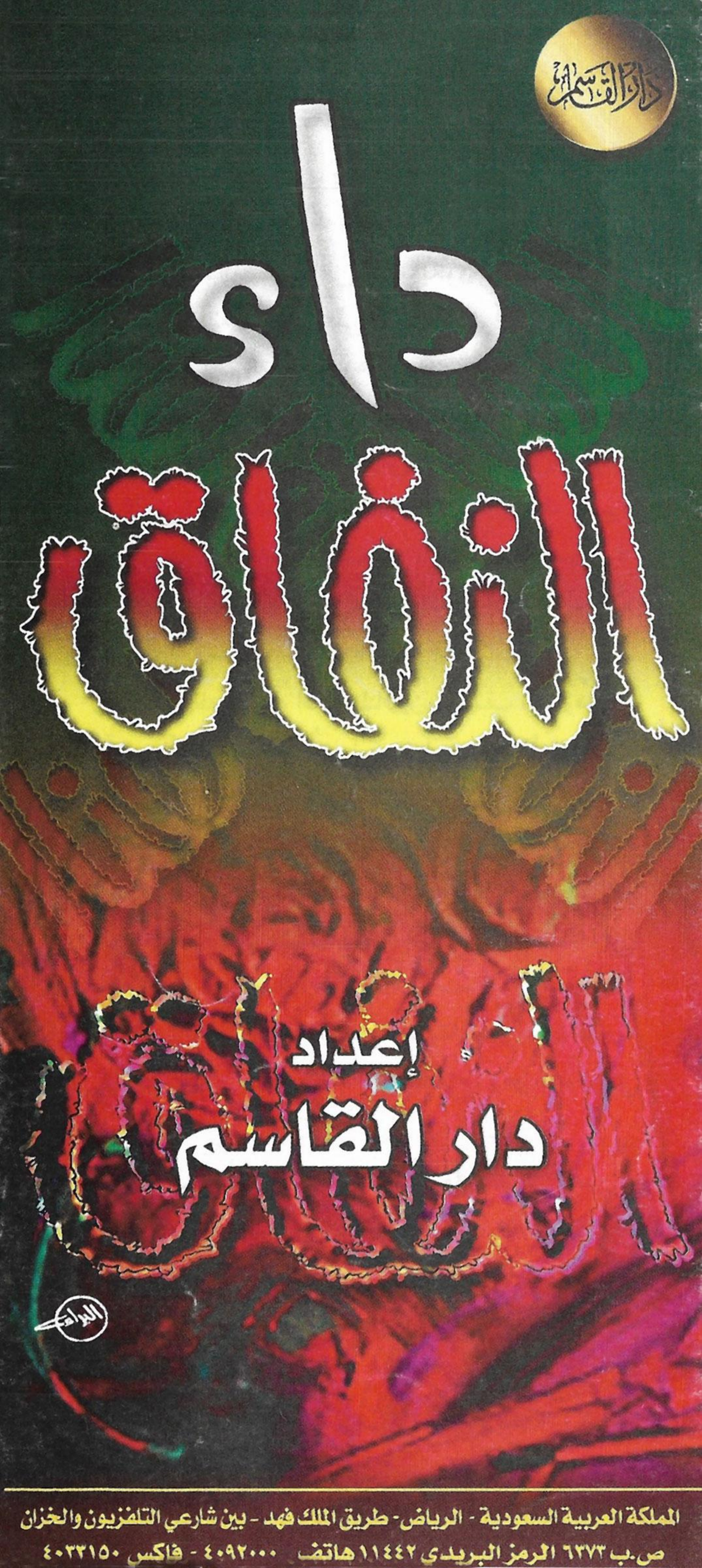

إعداد
دار القاسم

المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الملك فهد - بين شارعي التلفزيون والخزان
ص.ب ٦٣٧٣ الرمز البريدي ١١٤٤٢ هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

النِّفاق: الداءُ العُضالُ الباطنُ، الذي يكونُ الرَّجُلُ ممتلئاً منه، وهو لا يَشْعُرُ، فإنه أَمْرٌ خَفِيَ على النَّاس، وكثيراً ما يَخْفى على من تَلَّبسَ به، فيزعم أنه مصلحٌ وهو مفسد.

وهو نوعان: أكبر، وأصغر.

فالأكبر: يوجب الخلودَ في النارفي دركها الأسفل، وهو أن يُظهر للمسلمين إيمانَهُ بالله وملائكته وكتبه ورسُله واليومِ الآخرِ، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كلِّه مُكذِّبٌ به، لا يؤمن بأنَّ الله تكلم بكلام أنزله على بشرٍ جعله رسولاً، يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسَهُ، ويخوِّفُهم عقابَهُ.

وقد هتك الله سبحانَهُ أستارَ المنافقين، وكشَفَ أسرارَهُم في القرآن وجلّى لعباده أمورَهُم، ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائفَ العالَمِ الثَّلاث في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكُفَّارَ، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفارِ آيتين، وفي المنافقين ثلاثَ عَشْرةَ آيةً، لكثرتِهم وعموم الابتلاءِ بهم، وشدَّة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بليَّةَ الإسلام بهم شديدةٌ جداً، لأنَّهم منسوبون إليه، وإلى نُصرته، وموالاته، وهم أعداؤُهُ في الحقيقة، يُخرجونَ عداوتَهُ في كلِّ قالَبٍ يظنَ الجاهل أنَّهُ علْمٌ وإصلاح، وهو غايةُ الجهلِ والإفساد.

فللّه كم من معقلٍ للإسلام قد هَدَمُوه! وكم من حصْنٍ له قد قَلَعُوا أساسَهُ وخرَّبوه! وكم من عَلَمٍ له قد طَمَسُوه! وكم من لواءٍ له مرفوعٍ قد وَضَعوه! وكم ضربوا بمعاول الشُّبَه في أصولِ غراسه ليقلعوها! وكم عَمَّوا عيونَ موارِدِه بآرائهم ليدفنوها ويقْطَعوها!.

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في مِحنةٍ وبلَّية، ولا يزال

يطرُقُهُ من شُبهِهم سَريَّةٌ بعد سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾] [الصف: ٨].

قبائح الشخصية النفاقية

اتفقوا على مفارقة الوحي. فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣]، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]، ولأجل ذلك ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان ٣٠].

*درَسَتْ معالمُ الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثَرَتْ معاهدُهُ عندهم فليسوا يَعْمُرونها، وأفلَت كواكبُهُ النيرة من قلوبهم فليسوا يُحْيونها، وكَسَفت شمْسُهُ عند اجتماع ظُلَم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها، لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله، ولم يرفعوا به رأساً، ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأساً، خلعوا نصوصَ الوَحْي عن سلْطَنَة الحقيقة، وعزلوها عنْ ولايَة اليَقين، وشنُّوا عليها غارات التَّأويلات الباطلَة، وقالوا: ما لنا ولظواهرَ لفظيَّة لا تفيدُنا شيئاً من اليقين؟ حسبنا ما وجدنا عليه خلفنا من المتأخرين، فإنهم أعلم بها من السَّلَف الماضين، وأقومُ بطرائق الحجَجِ والبراهين، وأولئك غَلَبَتْ عليهم السذاجةُ وسلامةُ الصدور، ولم يتفرغوا لتمهيد قواعد النظر، ولكن صرفوا همهم لفعل المأمور وتَرْكِ المحظور، فطريقَةُ المتأخرين أعلمُ وأحكمُ. وطريقَةُ الماضينَ أجهَلُ، لَكنَّها أسْلَمُ.

* قد نَهكَتْ أمراضُ الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكَتْها، وغلبت القصودُ السيئةُ على إرادتهم ونيَّاتهم فأَفْسدَتْها، ففسادُهم قد ترامى إلى الهلاك، فعجَزَ عنه الأطباء

العارفون ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ [البقر: ١٠].

*أسماعُ قلوبهم قَدْ أثقلها الوقْرُ، فهي لا تَسْمَع منادِيَ الإيمان، وعيونُ بصائرهم عليها غشاوة العَمَى، فهي لا تبصر حقائقَ القرآن، وألسنتهم بها خرسٌ عن الحقِّ فهم به لا ينطقون ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨)﴾ [البقرة: ١٨].

*لهم علاماتٌ يُعْرَفون بها مبينة في السنَّة والقُرآن، باديةٌ لمن تَدَبَّرها من أهلِ بصائر الإيمان، قام بهم ـ والله ـ الرِّياءُ، وهو أقبحُ مقام قامَهُ الإنسانُ، وقعد بهم الكَسل عمَّا أُمِروا به من أوامر الرَّحمن، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلاً ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾[النساء: ١٤٢].

*أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين، ترعى إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تستقرُّ مع إحدى الفئتين، فهم واقفون بين الجمعين، ينظرون أيُّهم أقوى وأعزُّ قبيلاً ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)﴾ [النساء: ١٤٣].

*يتربصون الدوائر بأهل السُّنة والقرآن، فإن كان لهم فتحٌ من الله، قالوا: ألم نَكُنْ مَعَكُم؟ وأقسموا على ذلك بالله جهْدَ أيمانهم، وإن كان لأعداء الكتاب والسُّنة من النُّصرة نصيبٌ، قالوا: ألم تعلموا أن عَقْد الإخاء بيننا مُحْكَمٌ، وأن النسبَ بيننا قريب؟ فيا من يريد معرفتهم، خُذْ صفاتهم من كلام ربِّ العالمين، فلا تَحتاجُ بعدَه دليلاً: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ [النساء: ١٤١].

*يُعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه، ويُشْهِد الله

على ما في قَلْبِه من كذبه ومينه، فتراه عند الحقِّ نَائماً، وفي الباطل على الأَقْدام، فخُذْ وصفهم من قول القُدُّوس السَّلام: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

*أوامرُهُم التي يأمُرون بها أَتْباعَهُم مُتضمِّنةٌ لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عمَّا فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، وأحدُهُم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصَّلاة، والذِّكْر، والزُّهْد، والاجتهاد ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

*إن حاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حُكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمداً بعيداً، ورأيتها معرضةً عن الوحي إعراضاً شديداً ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) ﴾ [النساء: ٦١].

*تسبق يمين أحدهم كلامه من غير أن يُعْترض عليه، لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرَّأ بيمينه من سوء الظَّنِّ به وكشف مالديه، وكذلك أهلُ الرِّيْبَة يكذبون، ويحلفون ليحسب السامعُ أنَّهم صادقون، قد ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ﴾ [المنافقون: ٢].

*تبَّاً لهم! برزوا إلى البيداء مع ركب الإيمان فلما رأَوْا طُولَ الطَّريق وبُعْدَ الشُّقَّة نكصوا على أعقابهم ورجَعوا، وظنُّوا أنهم يتمتعون بطيب العيش ولَذَّة المنام في ديارهم، فما مُتِّعوا به ولا بتلْكَ الهَجْعة انتفعوا، فكيف حالُهُم عندَ اللِّقاء؟ وقد عرفوا ثُمَّ أنكروا، وعَموا بعدَ ما عاينُوا الحقَّ وأَبْصروا ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ﴾ [المنافقون: ٣].

*أحسنُ الناس أجساماً، وأخْلَبُهم لساناً، وألطفُهم بياناً، وأخبثُهم قلوباً، وأضعفُهم جَناناً، فهم كالخُشُبِ المُسَنَّدَة التي لا ثمر لها، قد قُلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها، لئلا يطأها السَّالكون ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

*يُؤخِّرون الصَّلاة عن وقتها الأوَّل، فالصُّبْحُ عندَ طلوعِ الشمسِ، والعصرُ عند الغُروبِ، ويَنْقُرونها نَقْرَ الغُراب، إذ هي صلاةُ الأبدان، لا صلاةُ القلوب، ويلتفتون فيها التفات الثَّعْلَب، إذ يتيقن أنه مطرودٌ مطلوبٌ، ولا يشهدون الجماعَةَ، بل إن صلَّى أَحَدُهُم ففي البَيْت أو الدُّكان.

*إن أصاب أهلَ الكتابِ والسُّنَّة عافيةٌ، ونصرٌ، وظهورٌ، ساءهم ذلك وغَمَّهم، وإن أصابَهم ابتلاءٌ من الله، وامتحانٌ يُمَحِّصُ به ذُنوبَهُم، ويُكَفِّر به عَنْهُم سيئاتهم أَفْرَحَهُم ذلك وسَرَّهم ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

*كره الله طاعاتهم، لخُبْث قُلوبهم، وفساد نيَّاتهم، فثبَّطَهم عنها وأَقْعَدَهُم، وأبْغَضَ قُرْبَهم منه وجواره، لميْلِهم إلى أعدائه، فطردَهُم عنه وأبعدهم، وأعرضوا عن وحيه فأعرض عنهم، وأشْقاهُم وما أسعدهم، وحكم عليهم بحكمٍ عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده، إلا أنْ يكونوا من التَّائبين، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦]. ثم ذكر حكمته في تثبيطهم وإقعادهم، وطرْدِهم عن بابه وإبعادهم، وأنَّ ذلك من لُطفه بأوليائه وإسعادهم، فقال، وهو أحْكَمُ الحاكمين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

*ثَقُلتْ عليهم النُّصوصُ فكرِهوها، وأعياهُم حَمْلُها فألْقَوْها عن أكتافهم ووضعوها، وتفلَّتتْ منهم السُّنَنُ أن يحفظوها فأهْملوها، وصالَتْ عليْهم نُصوصُ الكتاب والسُّنة فوَضَعوا لها قوانينَ ردُّوها بها ودَفَعوها، ولقد هتَك الله أستارَهُم، وكشفَ أسْرارهُم، وضربَ لعباده أمثالهُم، واعلم أنَّهُ كُلَّما انقرض منهم طوائفُ خلَفَهُم أمْثالُهم، فذكر أوصافَهُم لأوليائه ليكونوا منها على حذر، وبينها لهم.

فقالَ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد: ٩].

*أسرُّوا سرائر النِّفاق، فأظْهرها الله على صفحات الوجوه منهم، وفَلتات اللِّسان، ووسَمَهم لأجْلها بسيما لا يخفون بها على أهْلِ البصائر والإيمان، وظنُّوا أنَّهم إذا كَتَموا كُفْرَهُم وأظهروا إيمانَهُم راجوا على الصَّيارف والنُّقاد، كيف؟ والنَّاقدُ البصيرُ قد كَشَفها لَكُم ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد: ٢٩، ٣٠].

موعدهم يوم القيامة

فكيف إذا جُمعوا ليومِ التَّلاقي، وتجلَّى الله ـ جلَّ جلالُهُ ـ للعباد وقد كُشفَ عن ساق؟ ودُعوا إلى السُّجود فلا يستطيعون ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم: ٤٣].

أم كيف بهم إذا حُشروا إلى جسْرِ جَهنَّم؟ وهو أدَقُّ من الشَّعرة، وأحَدُّ من الحُسامِ، وهو دَحضٌ مزلَّة، مُظلمٌ لا يقطعه أحدٌ إلا بنور يُبْصرُ به مواطئ الأقدام، فقُسِّمت بين الناس الأنوارُ، وهم على قَدْرِ تفاوتها في المرور والذهاب،، وأُعْطُوا نوراً ظاهراً مع أهل الإسلام، كما كانوا بينهم في هذه الدار

يأتون بالصلاة والزكاة والحج والصيام، فلما توسطوا الجسر عصفت على أنْوارِهم أهويةُ النِّفاق، فأطفأت ما بأيديهم من المصابيح، فوقفوا حيارى لا يستطيعون المرور، فضُرب بينهم وبين أهلِ الإيمان بسور له بابٌ، ولكن قَدْ حيل بينَ القَوْم وبينَ المَفَاتيح، باطنُهُ ـ الذي يلي المؤمنين فيه الرَّحْمةُ، وما يليهم منْ قِبَلِهم العذابُ والنِّقمةُ، ينادون مَنْ تَقَدَّمَهُم من وفد الإيمان، ومشاعلُ الرَّكْبِ تَلوحُ على بُعْد كالنُّجوم، تبدو لناظر الإنسان ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] لنتمكَّن في هذا المضيقِ منَ العُبور، فقد أُطفئت أنوارُنا، ولا جواز اليوم إلا بمصباحٍ من النور ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد: ١٣] حيث قسمت الأنوار، فهيهات الوُقوف لأحد في مثلِ هذا المضمار! كيف نلتمس الوقوف في هذا المضيقِ؟ فهل يلوي اليوم أحدٌ علي أحد في هذا الطريق؟ وهلْ يلتفتُ اليومَ رفيقٌ إلى رفيق؟ فذكِّروهم باجتماعهم معهم وصحبتهم لهم في هذا الدار، كما يُذكِّر الغريبُ صاحبَ الوطنِ بِصُحبتِهِ له في الأسفار.

ألم نكن معكم؟

نصومُ كما تَصُومون، ونُصلِّي كما تُصَلُّون، ونقرأُ كما تقْرؤُون، ونتصدَّق كما تتصدَّقون، ونحُجُّ كما تُحُجُّون؟ فما الذي فرقَ بيننا اليَوْمَ، حتى انْفردْتُم دوننا بالمُرور؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾[الحديد: ١٤] ولكنَّكُم كانت ظواهرُكم معنا وبواطنُكم مع كُلِّ مُلْحد، وكُلِّ ظلومٍ كفور ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٤، ١٥].

لا تستطل أوصاف القوم

فالمتروك ـ والله ـ أكثرُ من المذكور، كادَ القرآنُ أنْ يكون كُلُّهُ في شأنهم، لكَثْرتِهم على ظهر الأرض، وفي أجْواف القُبور، فلا خلَت بِقاعِ الأرْضِ منهم لئَلاَّ يستوحش المؤمنون في الطُّرقات، وتتعطَّلَ بِهِم أَسبابُ المعايشِ، و تَخطَّفَهُمُ الوحوش والسِّباعُ في الفلوات، سمع حذيفة ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يقول: اللَّهُمَّ أَهْلك المنافقين. فقال: «يا ابن أخي، لَوْ هلك المُنافقونَ لاسْتوْحَشْتُم في طُرُقاتِكُم مِنْ قلة السَّالكِ».

خوف السلف من النفاق

تالله لقد قطَّع خوفُ النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلمهم بدقِّه وجُلِّه وتفاصيله وجُمله، وساءت ظُنونُهم بنفوسهم حتى خَشُوا أن يكونوا من جُملَة المُنافقين، قال عمر بنُ الخطَّاب لحُذَيفةَ ـ رضي الله عنهما: «يا حُذَيْفَةُ، نشدْتُكَ بالله، هلْ سمَّاني لَكَ رسُولُ الله ﷺ منْهُم؟ قال: لا. ولا أُزَكِّي بعْدَكَ أحَداً» وقال ابن أبي مُليكة: «أدركتُ ثلاثينَ منْ أصحاب محمد ﷺ كُلَّهُم يخافُ النِّفاقَ على نفْسه، مامنهم أحدٌ يقولَ: إنَّ إيمانَهُ كإيمانِ جبريلَ وميكائيلَ» ذكره البخاري. وذكر عن الحسن البصري: «ما أَمِنَهُ إلا مُنافقٌ، وما خافَهُ إلا مُؤمنٌ» ولقد ذكر عن بعض الصحابة: أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إني أعوذُ بكَ من خُشوع النِّفاق، قيل: وما خُشوعُ النِّفاق؟ قال: أن يُرى البَدَنُ خاشعاً والقَلْبُ ليس بِخاشِعٍ»

تالله لقد مُلئت قُلوبُ القوم إيماناً ويقيناً، وخوفُهم من النِّفاق شديدٌ، وهَمُّهم لذلك ثقيلٌ، وسواهُم كثيرٌ منه لا يُجاوزُ إيمانُهم حناجرَهُم، وهم يدَّعونَ أنَّ إيمانَهُم كإيمانِ جبريلَ وميكائيلَ.

زرْعُ النِّفاقِ ينبتُ على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرِّياء. ومخرجهما من عينين: عينِ ضَعْفِ البَصيرة، وعينِ

ضَعْف العزيمة، فإذا تمَّت هذه الأركانُ الأربعَةُ استحكم نباتُ النِّفاق وبنيانُهُ، ولكنَّهُ بمدارج السُّيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيْلَ الحقائق يو م تُبلى السرائرُ وكُشف المستُور، وبُعْثِرَ ما في القبور، وحُصِّل ما في الصُّدور، تبين حينئذ لمن كانت بضاعتُهُ النِّفاقَ أن حواصلَهُ التي حَصَّلها كانت كالسَّراب ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)﴾ [النور: ٣٩].

* قلوبُهُم عن الخيرات لاهيةٌ، وأجسادُهُم إليها ساعيةٌ، والفاحشةُ في فجاجهم فاشيةٌ، وإذا سمعوا الحقَّ كانت قلوبُهُم عن سماعه قاسيةً، وإذا حضَروا الباطل وشهدوا الزُّور انفتحت أبْصارُ قلوبِهم، وكانَتْ آذانُهُم واعيةً.

* فهذه ـ والله ـ أمارات النِّفاق، فاحذَرْها أيُّها الرجُلُ قبلَ أن تَنْزِلَ بكَ القاضيَةُ، إذا عاهَدوا لَم يَفُوا، وإن وعَدوا أَخْلفوا، وإن قالوا لَمْ يُنْصفوا، وإن دُعوا إلى الطَّاعَة وَقَفُوا، وإذا قيل لهم،: تعالَوْا إلى ما أَنْزَلَ الله وإلى الرسول صدَفوا، وإذا دَعَتْهم أَهواؤهُم إلى أعراضهم أسرعُوا إليها وانصرفوا، فذرهم وما اختاروا لأنفسهم منَ الهَوان، والخِزْي والخُسران، فلا تَثِقْ بعهودهم، ولا تطْمَئِنَّ إلى وُعودهم، فإنَّهم فيها كاذبونَ، وهُمْ لما سواها مُخالفون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤كتيبات + ٤كتيبات جيب + ٤مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة

1001023